كما أن الله تعالى جعل للرجل حقا فى أن يختار شريكة حياته وفق معايير خاصة به تماما قد يوافقه عليها البعض أو يعترض ،وقد يبارك رأيه قوم ويرفض رأيه آخرون ، فقد كفل الإسلام للمرأة حقها هى الأخرى فى القبول أو الرفض .. فهى إنسانة مثلها مثل الرجل ، عليها مثل ما عليه من واجبات ولها مثل ما له من حقوق إنسانية ، ثم جاء الإسلام ليقرر الحقوق والواجبات ويجعلها حقوقا شرعية ، لا منحة تمنح من رجل وتسلب من آخر وفقا للأهواء والآراء .. !!

وكم يأخذ العجب منا مأخذه حين نعلم أن نسوة الجيل الأول من الصحابيات الجليلات كن يستخدمن هذا الحق بعقل وحكمة دون إساءة أو مغالاة ،سواء فى اختيار الرجل أو طلب الطلاق منه إذا ساء خلقه ، وهنا سنبين بعض الأمثلة لماهية الرجل الذى تحلم به المرأة ـ أى امرأة ، ولاسيما المؤمنة ـ تحب أن تكون فيه من السجايا والمزايا ما يجعلها تطمئن فى معاشرتها معه .. فى يومها وغدها ، ولكى يكون عونا لها فى التغلب على ضعفها البشرى ونقصان عقلها وعدم قدرتها دوما على ضبط انفعالها ، وحتى إذا نسيت الله يوما فى أمر أو فعل ذكرها ، وإذا ذكرت الله أعانها ، وإذا سارت فى طريق ضلال ردها ، وإذا تقاعست عن عمل خير دفعها ، وهكذا تحلو الحياة وتجمل به وبها .. !!

وهؤلاء بعض النسوة ممن أعطين حسن منطق وفكرا ثاقبا ورؤية نافذة فهيا بنا نجول فى عوالمهن المميزة .. نحلق ونسبح لنعلم ونتعلم كيف تتجسد الحكمة فى كلمات :

أم أبان عتبة بن ربيعة : بعد أن مات عنها زوجها يزيد بن أبى سفيان أراد عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن يخطبها لنفسه فرفضت وعللت رفضها بأنه :

لا يدخل إلا عابسا ولا يخرج إلا عابسا .. يأتى بيته دوما عابس الوجه من كثرة انشغاله بهموم المسلمين ، وإذا جلس فى بيته كان محور فكره قضايا المسلمين فأنى له بالابتسام والانسجام ؟!

يغلق أبوابه .. ليس عنده وقت كبير لكثرة الزوار واللقاءات الاجتماعية والأحاديث الهامشية .

ويقل خيره .. من كثرة إنفاقه فى الخير ومحاسبته لنفسه وأهله ، تراه وكأنه فقير معدم ليس عند فائض خير ينفقه على أهله .

ثم خطبها الزبير بن العوام فقالت عنه :

يد له على قرونى ويد له على السوط .. لأنه كان محاربا جبارا لا يتلذذ إلا فى الحروب . شديد فى معاملته لا يعرف التهاون أو التسامح مع أحد ، فإن أخطأت يوما فى شىء جذب شعر رأسى ووضع السوط على جسدى فأبتلى بالحياة معه .

ثم خطبها طلحة فأجابت فتزوجها ، ولم تعدد أم أبان خصاله الحميدة ، ولكن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دخل عليها يوما ، وقال لها : رددت من رددت منا وتزوجت ابن بنت الحضرمى فقالت : القضاء والقدر ، فقال على : أما أنك تزوجت رجلا (يقصد طلحة) :

١ ـ أجملنا مرآة .. أوجهنا شكلا ، وأجملنا منظرا .

٢ ـ وأجودنا كفًا .. أى كريم جواد لا يبخل بما فى يديه .

٣ ـ وأكثرنا خيرا على أهله .. واسع الإنفاق ، عظيم العطاء على الجميع فكيف به مع أهله .

هند ابنة الخس : (المعروفة بفصاحتها ورجاحة عقلها) ، قيل لها يوما ألا تتزوجين ؟ ، فقالت : (بلى .. لا أريد أخا فلان ، ولا ابن فلان) .. أى ذكرت أشخاصا بأعينهم ومسمياتهم .

ـ ولا الظريف المتظرف .. الذى يدعى الظرف فى مزاحه وأقواله ولكنه ثقيل الدم .

ـ ولا السمين الألحم .. الذى تبدو سمنته بشكل كبير ، وتكاد تلتحم أعضاء جسده مع بعضها من فرط السمنة .

ولكن أريده :

ـ كسوبا إذا غدا .. أى ماهرا فى التجارة يروح ويغدو فيبارك الله فى جهده

ويأتى بالمال الوفير .

ـ ضحوكا إذا أتـى .. أى دائـم البشـر يدخـل البهجـة والسـرور علـى زوجتـه وأهله ، وذات يوم غضبت هند من زوجها فمضت تشكو إلى قتيبة بن مسلم وهو والى خراسان فقالت : أبغضه والله لخلال فيه .. فسألها : وما هى ، قالت :

ـ قليل الغيرة .. أى لا يغار على أهله إلا قليلا ، وهذا تكرهه المرأة عـادة لأنـها تعتبر غيرة الرجل عليها دليل حب وولع بها وبجمالها .

ـ سريع الطيرة .. أى يتشائم بسرعة من أى شىء يفزعه أو لا يعجبه .

ـ شديد العتاب .. أى يسرف فى لومه وعتابه إذا أخطأت معه .

ـ كثير الحساب .. أى يحاسب أهله على الصغيرة والكبيرة دون أن يغـض طرفـا عن شىء .

ـ قد أقبل نخيره .. له صوت عند النوم .

ـ وقل زفيره .. وهى لا تشعر معه بالأنس التام حين يؤدى حق الزوجية .

ـوسجمت عيناه .. وهو شديد التوتر والانفعال ، قلق ، منفعل ، يظهر أثر ذلك على أطرافه .

ـ واضطربت رجلاه .. فتراها تضطرب وتهتز لاسيما رجليه .

ـ يصبح جلسا .. كثير الجلـوس فـى البيـت دون حاجـة إلى ذلـك والمـرأة تحـب الرجل الذى يغدو ويعود .

ـ ويمسى رجسا .. وإذا أقبل المسـاء كـان سـيئ المنظـر ، قـذر الثيـاب ، بغيـض الرائحة .

ـ إن جاع جزع .. إذا جاع صاح وثار ، ولا يصبر على جوع معدته لاسـيما إذا لم يكن الطعام معدا وجاهزا .

ـ وإن شبع خشع .. إذا أكل وشبع نام ولم يسمع له صوت أو حركة .

هند بنت عتبة : ذكر التاريخ أن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت لأبيها : يا أبـت إنك زوجتنى من هذا الرجـل (أى فاكـه بـن المغـيرة المخزومـى الـذى سـبها فـى شرفها ، ولكن برأها الكاهن الذى احتكم إليه أبوهـا وزوجـها فيـه ، فقـال أنـها

ليست زانية وستلد ولدا اسمه معاوية وتم طلاقها منه) ولم تؤامرنى فى نفسى فعرض لى معه ما عرض فلا تزوجنى من أحد حتى تعرض على أمره وتبين لى خصاله ، فخطبها سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب فدخل عليها أبوها يقول :

أتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضا لك يا هند الهنود ومقنع
وما منهما إلا يعاض بفضله وما منهما إلا يضر وينفع
وما منهما إلا كريم مرزأ وما منهما إلا أعز سميدع
فدونك فاختارى فأنت بصيرة ولا تخدعى إن المخادع يخدع

قالت : يا أبت والله ما أصنع بهذا شيئا ولكن فسر لى أمرهما وبين لى خصالهما حتى أختار لنفسى أشدهما لى موافقة ، فبدأ أبوها يذكر سهيل بن عمرو فقال :

أما أحدهما : ففى ثروة واسعة من العيش ، إن تابعته تبعك ، وإن ملت عنه حط إليك ، تحكمين عليه فى أهله وماله . (أى أنه رجل عظيم الثراء ، سخى ، لكنه فى الوقت نفسه ضعيف الشخصية يسير وراء عاطفته ويتبع أوامر قلبه فهو سيكون كالتابع للمتبوع حيثما ولى وجهه أو حط بعيدا عنه وستكون لك الغلبة والرأى والحكم ليس فى نفسه فقط بل كذلك فى أهله وماله) .

وأما الآخر (أبو سفيان) : فموسع عليه ، منظور إليه ، فى الحسب الحسيب ،والرأى الأريب ، بدر أرومته وعز عشيرته ، شديد الغيرة ، كثير الظهرة لا ينام على ضعة ، ولا يرفع عصاه عن أهله . (أما الآخر فقد أفاض الله عليه من الخير والعطاء ، وهو معلوم بين الناس لسعة رزقه ، ولعظم حسبه .. وكرم أصله ، وحصافة رأيه ، له رأى سديد ، وعقل رشيد ، تعتز به عشيرته وتتبع وجهته ، لكنه فى الوقت نفسه شديد فى غيرته على أهله وزوجته ، وهو دائما يغلب ولا يغلب ، ولا يضيع من يقوت أو يعول ، ولا يلقى بعصاه أبدا حتى يخاف من يعول أن يسيئوا إذا فعلوا ، أو يخطئوا إذا عملوا) .

فقالت هند : "يا أبت ، الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن تلين بعد إبائها ، وتضيع تحت جناحه . إذا تابعها بعلها فأشرت ، وخافها أهلها فأمنت ، فساء

عند ذلك حالها ، وقبح عند ذلك دلالها ، فإن جاءت بولد أحمقت ، وإن أنجبت فمن خطأ ما أنجبت ، فاطو ذكر هذا عنى ، ولا تسمه على بعد" ، (هنا يأتى تعليق أروع من عرض الأب ينم عن حصافة المرأة وعمق رؤيتها للسعادة الزوجية الحقيقية وليست الهزلية ، فإن كان الرجل ينم مظهره عن رجولة خارج البيت وسيادة فى عمله أو فى أهل عشيرته أو الحى . ولكنه ضعيف الشخصية يدع الزوجة تصنع ما تحب وتأتى وتخرج كما تريد ، فإن المرأة الحرة الحقة تأبى هذا الإمعة لأنها حتما ستضيع فى كنفه ، وستذل بعد عز ، وستضل بعد هدى فالمرأة عاطفية بطبعها ضعيفة بقلبها ، وقد يغريها الهوى فتنحرف فلا تجد من يردها ، وإذا صاح أحد من أهل البيت الذى تقيم فيه مع زوجها صاحت فيهم فخافوها وأمنت هى غضب زوجها عليها ، فهى قادرة على إقناعه بصواب خطئها وصحة فعلها وكذب ادعاء أهلها ، وحينئذ يسوء خلقها وتفسد حياتها، وإن أنجبت تلك المرأة السيدة المطاعة فمن خطأ لأنه عادة يكن الأزواج التابعون فى حالة أخطاء معنوية . وإن صارت أما فهى أم حمقاء وولدها سيرث حمقها كذلك .. وتختم تعليقها الرائع كما بدأته ، دع عنه ذكر هذا الرجل فلست بالتى تبحث عن الرجل الأنثى ولست أنا بالمرأة الرجل !!) .

وأما الآخر : فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة وإنى للتى لا أريب له عشيرة فتعيره ، ولا تصيره بذعر فتضيره وإنى لأخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه" .

(أما الزوج الثانى والذى تبغيه هند فهو رجل تشتهيه كل عذراء بكر ، حرة ، عفيفة ، لكرم ونبل صفاته ورجولته وشهامته واعتزاز الناس برأيه ، وأنا لمثل هذا كفء ، فسيفخر بى أمام قومه ، ولن يعيره أحد بنكاحى ، ولن أرتكب ما يخجل منه أمام الناس ، فأنا المرأة الأنثى ، وهو الرجل الرجل وأنا لمثل هذا موافقة فزوجنيه يا أبت بلا تردد) .

فزوجها من أبى سفيان بن حرب .